

قصة موسى ويوم عاشوراء

أما بعد: دخل يعقوب عليه السلام أرض مصر مع أولاده بطلب من يوسف عليه السلام عندما وُلِّي وزارة مصر. وكانوا أفراداً معدودين، فأواهم يوسف عليه السلام وقال لهم: **(ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ)**. ولمكانة يوسف عند الملك، أكرم الملكُ أبويه وإخوانه وأهله حتى ولاهم مناصب عالية في مصر، ومكَّن يوسف في الأرض. وكثر بنو إسرائيل في مصر وزاد عددهم. وبدأ أهل مصر الأصليين، وهم الفراعنة، يحسدون بني إسرائيل على ما وصلوا إليه في البلاد من مناصب، رغم أنهم في الأصل غرباء، وبدؤوا يَفْلُقُون بسبب وجود بني إسرائيل في مصر، فأخذوا يعزلونهم عن المناصب والولايات. وحدث أن فرعون رأى رؤيا فسرت له بأن هلاكه وذهاب ملكه سيكون على يد غلام يولد من بني إسرائيل. فغضب غضباً شديداً وأصدر أوامره بذبح كل مولود ذكر من بني إسرائيل. وأخذ يستخدم كبار رجالهم ونسائهم في الأعمال الشاقة وفي ذلك يقول ربنا سبحانه: **(إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ)** القصص ٤. ولكن الله تعالى يريد غير ما يريد فرعون، ويُقدِّر غير ما يُقدِّر طاغية الأرض السفاك المجرم الإرهابي العميل فرعون. هكذا الطغاة البغاة في كل زمان ومكان تخدعهم قوتهم وسلطانهم فينسبون إرادة الله تعالى وتقديره. يحسبون أنهم يختارون لأنفسهم ما يحبون ويختارون لأعدائهم ما يشاءون ويظنون أنهم على هذا وذاك قادرون، والله يعلن إرادته ويكشف عن تقديره وقدرته ويتحدى فرعون وهامان وجنودهما بأن جندهم لن ينفعهم: **(وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ)** القصص ٥.

عباد الله: ويولد موسى عليه السلام في هذه الظروف الصعبة والخطر يداهمه والموت يدور حوله. وتحتار أمه وترتجف خشية أن تتناول عنقه سكين جنود فرعون. ويوحى إليها ربها: **(أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي**

وَعَدُوُّ لَهُ) طه ٣٩. وهذه قمة التحدي، لقد أعلنت الطوارئ وصدرت الأوامر بذبح المواليد تخوفاً من واحد سيكون هلاك فرعون على يده، وإذا بالقدرة الإلهية تحمل هذا الغلام نفسه إلى فرعون، هذا الغلام العاجز الضعيف الذي ليس له حول ولا قوة. وكان الله يقول لفرعون: يا فرعون لا تتعب نفسك في البحث عن هذا الغلام الذي سيكون ذهاب مُلْكِكَ على يده فهاهو بين يديك، فإن كان الأمر بيدك فأصنع به ما تريد وإن كان الأمر بيد الله فلن يكون إلا ما يريد: (لَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ). فإذا بفرعون نفسه يبحث لموسى عن المراضع ويأتيه بهنّ واحدة بعد الأخرى حتى عاد إلى أمه: (كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ). ويتربى موسى في قصر فرعون تحت رعايته وإشرافه وفرعون يوفر له كل احتياجاته ليكون لهم عدواً وحرزاً: (إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ) القصص ٨. وتنتهي مدة الرضاعة وفترة الصبا ويبلغ موسى أشده ويستوي عوده. وفي يوم من الأيام وبينما كان موسى يتجول في المدينة في وقت الظهيرة، حين تغفوا العيون، وجد فيها رجلين يقتتلان، هذا من شيعته (من بني إسرائيل) وهذا من عدوه (أي من آل فرعون). فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فركزه موسى (ضربه ضربة خفيفة) ففضى عليه. فأجمعوا أمرهم ليقتلوه، فنصحه ناصح بالخروج من البلاد: (فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ). ماذا حدث بعد ذلك؟! سنكمل في الخطبة الثانية.

عباد الله: خرج موسى من مصر خائفاً يترقب حتى دخل مدين: (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٢٥) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبْتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٢٦) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي تَمَانِيَةً حَجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّالِحِينَ (٢٧) قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى

مَا نَقُولُ وَكَيْلًا) القصص ٢٣ - ٢٨. وقضى موسى عشر سنين في أهل مدين ثم استأذن صهره في الرجوع إلى مصر، مصر التي قتلَ فيها رجلاً بالأمس، مصر التي خرج منها خائفاً يترقب، مصر التي حُكم عليه فيها بالإعدام شنقاً حتى الموت. هل نسيَ موسى ما كان فيه؟ هل نسي أنه محكوم عليه بالإعدام؟ لا لم ينسَ. ولكنها إرادة الله. إنه القدر الذي ذكر الله به موسى حين قال سبحانه: (فَلَبَّثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَيَّ قَدَرًا يَا مُوسَى). وفي الطريق اشتد البرد وفقد النار وضل الطريق. وبينما هو في هذه الظروف القاسية (إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى) فأتى موسى هذه النار فإذا هي نور عظيم وعندها خير كثير. (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (١٣) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي). بهذا نبئ موسى عليه السلام وأرسل حين قال له ربه: (اذهبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى). وهذا مدار حديثنا إن شاء الله تعالى في الجمعة القادمة حول المناظرة بين فرعون وموسى.

وقبل الختام أود أن أذكركم أيها الإخوة أننا في شهر محرم وهو أول شهور العام. عباد الله: يضاف هذا الشهر إلى الله فيقال: شهر الله المحرم. وهنا نجد سؤالاً يطرح نفسه ما الحكمة في إضافته إلى الله مع أن الشهور كله له؟ فهنا يقال أن إضافة هذه الشهر إلى الله تعظماً لهذا الشهر، لذلك ورد عن النبي ﷺ أنه كان يكثر من الصيام فيه. حيث جاء في الحديث الذي يرويه الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: *أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل.* قال النووي: قوله ﷺ: *"أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم"* تصريح بأنه أفضل الشهور للصوم. وقال الشيخ ابن باز رحمه الله: شهر محرم مشروع صيامه، فإذا صامه كله فهذا طيب، أو صام التاسع والعاشر والحادي عشر فذلك طيب.

فلنحرص أيها الإخوة على الإكثار من الصيام في هذا الشهر وقد ذكرنا لكم في الجمعة الماضية أن اليوم العاشر من محرم هو هذا اليوم وقد رغب النبي ﷺ بصيامه حيث جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي عنهما قال: قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى. قال: فأنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه. وفي رواية مسلم قال: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه وأغرق فرعون وقومه فصامه موسى شكراً لله تعالى فنحن نصومه. وقد قال ﷺ بشأنه: يكفر السنة الماضية.

فنسأل الله أن يتقبل من الصائمين صيامهم. أما الذين فاتهم صيام اليوم فلا يفوتهم الإكثار من الصيام طيلة شهر محرم، نسأل الله أن يعيننا وإياكم على كثرة الصيام والقيام وغيض البصر وحفظ اللسان....

(إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

والحمد لله رب العالمين